جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون السينمائية والتلفزيونية

المحاضرة الخامسة

أصول الفلسفة اليونانية

المجاميع الفلسفية (الفيثاغوريون و السفسطائيون)

د. عقيل صالح آل شاروح

المرحلة الثالثة

2021

أصول الفلسفة اليونانية

تقدمة ـ

يذهب الكثيرون الى الحديث عن تفرد العقلية اليونانية القديمة، تلك التي أنتجت علوم الفلسفة والمنطق، حتى إنّهم أطلقوا على هذا التفرُّد تعبير (المعجزة اليونانيةGreek Miracle)، مجانبين الكثير من الحقائق التاريخية والاجتماعية والأنثروبولوجية، ومدى ارتباط وتأثُّر حضارة بلاد اليونان بحضارات الشرق، ولا سيما الحضارتين الرافدينية والمصرية، كأقدم الحضارات الإنسانية، التي قدّمت للبشرية أفكاراً ميتافيزيقية وفلسفية كمادة الخام لمعظم الأفكار والمبادئ والنظريات الفلسفية التي أنتجتها الفلسفة اليونانية، سواء قبل **سقراط** أم بعده، خصوصاً مع اعتراف كثير من المفكرين الغربيين بأنّ الحضارة اليونانية لم ترتقِ ولم تزدهر آدابها وفلسفتها وفنونها إلا بعد أن احتكَّت بالشرق في إيوليا وأيونيا بآسيا الصغرى، حيث يقول **روبرتسون** في الجزء الأول من كتابه (**تاريخ حرية الفكر**): (**إننا مهما قلّبنا وجوه الرأي وأمعَنّا البحث، فلن نعثر على مدنية يونانية أصيلة بريئة من التأثر بالحضارات الشرقية**)، ولم يجد اليونانيون، وقتذاك، صعوبة في الاتصال ببلاد الشرق عن طريق الأساطيل التجارية البحرية التي ساعدتهم على اجتياز المسافات للقيام بالتبادل التجاري مع شعوب حوض البحر المتوسط.

نظرية (المعجزة اليونانية)

ناقش الدكتور **فؤاد زكريا** نظرية المعجزة اليونانية، في كتابه **التفكير العلمي**، مفندا إياها قائلا؛ (**إنّ الكلام عن معجزة يونانية ليس من العلم في شيء، فالقول إنّ اليونانيين قد أبدعوا فجأة، ودون سوابق أو مؤثرات خارجية، حضارة عبقرية في مختلف الميادين، هو قول يتنافى مع المبادئ العلمية التي تؤكد اتصال الحضارات، وتأثير بعضها ببعض، على حين أنّ لفظ المعجزة يبدو في ظاهره تفسيراً لظاهرة الانبثاق المفاجئ للحضارة اليونانية، فإنه في واقع الأمر ليس تفسيراً لأي شيء، بل تعبير غير مباشر عن العجز في التفسير**).

أن مفاهيم التسويق الفكري كانت منطلقة من أبعاد سياسية قائمة على التعالي منذ قرون؛ حيث أن تضخيمها يُراد به الاستخفاف بالأخر، وتعزيز لنظرية التمييز العنصري، التي تمخَّض

عنها تبرير الحقب الاستعمارية لبلاد الشرق، وأفضلية الجنس الأبيض على الأجناس الملوَّنة، والادّعاء بأن الرجل الشرقي لا يتقِنُ سوى العملِ لا الفكر، وانه يتعلق فقط بالدين والرُّوحانيات، دون العقل والنظر، لذلك لا ليس غريباً أن يذهب المفكرون أمثال **جيلبرت هايت** في كتابه (**جبروت العقل**) الى التفريق بين تراث الإغريق العقلاني، وتراث الشعوب الأخرى الذين يطلق عليهم البرابرة كالمصريين والآشوريين، مُتعامياً عن حقائق الاجتماع والسيكولوجيا والعلم. ليبرزُ التساؤل؛ لماذا نفترض أنّ الشرق كله كان عاجزاً عن **التفكير العقلي**، والنظر الفلسفي، بينما نجد أنفسنا مدفوعين بإرادتنا إلى الاعتراف بذلك كله إلى اليونان والتغافل عن أسبقية الحضارتين الرافدينية والمصرية القديمة في النظر العقلي والتأمل الفلسفي في كثير من المسائل الميتافيزيقية، والقيم الأخلاقية والسلوكية والعلمية. لذا لا بد من الإشارة إلى أنّ المؤرخ اليوناني الكبير **هيرودوت** يعترف بفضل الحضارة المصرية على الحضارة اليونانية، خصوصاً في مجال الدِّين، فقد تواترت الأدلة على أنّ كل **هيرودوت، طاليس، وديمقريطس**، بل و**أفلاطون**، زاروا مصر بما يشبه رحلة الحج إلى معابدها، ومخالطة كهنتها وعلمائها، للاطلاع على تطور العلوم والآداب والفنون المصرية القديمة، وثراء الديانة المصرية، وكذلك ثراء الجوانب الميتافيزيقية والأخلاقية والجمالية التي تمتزج بها.

نشأة الفلسفة اليونانية

بات من مسلمات التاريخ والمنطق إن المدارس والمذاهب الفلسفية التي ظهرت في بلاد الرافدين في الحضارة البابلية والآشورية، وكذلك الحضارة المصرية كلها كانت سابقة للحضارة اليونانية وفلسفاتها لذا فهي لم تنشأ من العدم، بل كان لها أصولٌ شرقية، على رأسها الأصول الرافدينية والمصرية، لتكون الأساس لما اتُّفق على تسميته **المعجزة اليونانيـة**. فقد نشأت وتأسست **الفلسفة اليونانية** في القرن السادس قبل الميلاد واستمرت خلال الفترة **الهلنستية**، تناولت مجموعة واسعة من المواضيع الفلسفة السياسية، الأخلاق، الميتافيزيقيا، علم الوجود، والمنطق، وعلم الأحياء والبلاغة، وعلم الجمال.

لقد تم تعريف هذه المرحلة بالفترة التي تبدأ من القرن السابع قبل الميلاد حتى انتهاء أكاديمية أثينا في الـ 529 وفقا لمرسوم جستنيان . حيث تعرضت الفلسفة اليونانية لمناقشة ثلاث قضايا مختلفة كنقاط مركزية للتفكير اليوناني هي:

١. **علم الوجود (ontology)** أي تعريف المبادئ الأولية حيث يمكن إعادة أصل واستمرارية كل واقع.
٢. **نظرية المعرفة(Epistemology)** أي تعريف معايير صلاحية وحدود المعرفة، وخاصة فيما يتعلق بمشكلة الحقيقة.
٣. **الأخلاقيات(Ethics)** أي دراسة نقدية للسلوك البشري تهدف إلى التعريف بالسلوك الأفضل والأحكم الذي يجب أو يجوز للإنسان اتباعه.

ولم يقتصر الفكر الفلسفي اليوناني على هذه القضايا، فحول بعض المفكرين انتباههم إلى علم الكون، والرياضيات وغيرها كنظرية المعرفة وعلم الوجود والأخلاق وغيرها.

تاريخ الفلسفة اليونانية

يرجع أصول الفلسفة الغربية إلى الفكر اليوناني القديم وكما وضح **جان بييرفيرنانت-Jean Pierre Vernant** تبدأ منذ القرن السابع قبل الميلاد مع محاولة علمنة تدريجية لمفهوم نشأة الكون(Cosmogony) وعلم الأساطير(theogony) من **هوميروس وهسيود**، ولا يزال يصعب الفصل بين الفكر المعرفي ونوع من التدين المخفي. فقد دفعت الحاجة للتفكير المستقل عن المبادئ الكامنة وراء الظواهر الطبيعية المفكرين الأوائل وخاصة **المدرسة الميلسية** (Milesian School)فحدد **طاليس** المبدأ الأول في الماء، وغيره من فلاسفة عصره ممن اقترحوا افتراضات أخرى في صدد الإجابة على الأسئلة حول الأصل ومعنى الواقع دون اللجوء إلى تفسيرات مبنية على الأساطير أو التقاليد، والاعتماد على الملاحظة المباشرة للطبيعة وقدرة الإنسان بشكل متزامن مع الحاجة لإعادة النظر في العلاقة مع فكرة الألوهية ومعالجة قضايا الأخلاقيات حيث النظام الملكي استبدل نظام المساواة لقوانين صممت لتكون الانعكاس الطبيعي

للنظام الكوني. هذا الحاجة وجدت أول رد من الحكماء الإغريق السبعة. في تأملات سفسطانية وسقراطية وما بعد سقراطية، لتصبح واحدة من فروع الفلسفة اليونانية الرئيسية .

المجاميع الفلسفية الفيثاغوريون والسفسطائيون

اطلق اصطلاح **الفيثاغوريين** إشارة للمعتقدات الباطنية والميتافيزيقية التي آمن بها **فيثاغورس** وأتباعه الذين كانوا متأثرين بالرياضيات فكانوا مصدر إلهام كبير لاحقاً لأفكار مشابهة لما اعتنقه **الفيثاغوريون** الأوائل لتعرف **بالفيثاغورية الجديدة**. لقد وضع **فيثاغورس** لطلابه قواعد كادت تحول مدرسته إلى دير للرهبنة، فكل من يدخلها يقسم يمين الولاء للأستاذ ولبعضهم بعضاً، وكانوا يشتركون على قدم المساواة في جميع احتياجاتهم ما داموا يعيشون في هذه الجماعة الفيثاغورية. وكانوا يلبسون الثياب البسيطة ولا يندفعوا في الضحك، ولا يكونوا مع ذلك عابسين. وان لا يقسموا بالآلهة لأن من الواجب على كل إنسان أن يعيش عيشة تجعله خليقاً بأن يصدقه الناس دون أن يلجأ إلى القسم.

كان الانضمام إلى المجتمع **الفيثاغوري** يتطلب، تطهير الجسم بالعفة وكبح الشهوات، وتطهير العقل بدراسة العلم. وكان ينتظر من الطالب الجديد أن يلتزم **الصمت الفيثاغوري** لخمس سنوات وأن يتقبل الأوامر من غير سؤال أو نقاش ليُعترف به عضواً في الجماعة. كان منهج الدراسة يتألف من أربع موضوعات: **الهندسة النظرية، والحساب، والفلك، والموسيقى**. وكان يبدأ بالرياضيات؛ ولكنها لم تكن العلم العملي الذي استحالت إليه على أيدي المصريين القدامى، بل كانت علماً مجرداً نظرياً يبحث في الكميات.

كان فيثاغورس مولعاً بالنظريات الهندسية، ويقول **أبلودورس** إنه لما كشف المعلم هذه النظرية ضحى بمائة ذبيحة شكراً على الكشف العظيم. وانتقل فيثاغورس من الهندسة إلى الحساب. أن المدرسة الفيثاغورية هي أول من قسم الأعداد إلى فردية وزوجية، وإلى أعداد صماء وأخرى قابلة للقسمة، وقد صاغت نظرية النسبة، واستطاعت بها وبتطبيق المساحات أن توجد الجبر الهندسي. ولعل دراسة النسبة هي التي أمكنت **الفيثاغوريين** من أن يحولوا الموسيقى إلى أعداد.

تأمل **فيثاغورس** في المرحلة الأولى الجانب الكوني والوجودي؛ في محاولة لوصف الواقع وفقا لمعيار الحاجة من خلال قوانين رياضية. من خلال اتباع نهج يسعى للتحقق من علاقات الانسجام الغير مرئي باعتباره أساسا للكون. معتبرا الأرقام مصدرا للمعرفة، وهي العنصر الأساسي الذي ينحدر منها كل واقع آخر.

السفسطائيون

كلمة سفسطائي sophistالمشتقة من (Sophia) والتي تعني الحكمة، وتستخدم بداية للدلالة على شخص ذو علم وحكمة حتى أنها أُطلقت على بعض الشعراء مثل **هوميروس** و**هسيود**، كما أطلق على حكماء أثينا السبعة (**هم سبعة من الفلاسفة ورجال الدولة ومشرعي قوانين عاشوا في القرن السادس قبل الميلاد وأثرت أفكارهم على المجتمع الآثيني في العصور المُقبلة**). ويعد هذا عصرهم من أزهى عصور **أثينا** بالإنتاج الفني والأدبي فتشييد معبد **البارثينون** Parthenon والعديد من الأعمال المسرحية، فصار فن الخطابة وبلاغة اللسان من لوازم الحياة التي اقتضاها العصر للمشاركة في الحياة العامة.

لم يُخلف لنا السفسطائيين من تراثهم إلا النذر القليل بينما وصلت معظم أفكارهم من خلال الحديث النقدي **لأفلاطون** عنهم في محاوراته كما ذكرهم **أرسطو** أيضًا في سياق نقدي. كان السفسطائيين يعتقدون بأنه حتى لو وجدت إجابات للأسئلة الفلسفية فإن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى يقين فيما يخص ألغاز الطبيعة والكون، وأن علينا كبشر أن نعلم كيف نعيش معاً، فاجمعوا على الاهتمام بالإنسان وموقعه في المجتمع، فقال **بروتاجوراس** (**الإنسان هو مقياس كل شيء**) فرأى أن الفضائل ليست غريزية أو فطرية وإنما تُعَلَم وتُكتسب؛ ولذلك فالإنسان يحتاج إلى معلم، واستند في ذلك على مصطلحي الطبيعة Physis والاتفاقNomos g ليميز بين ما هو موجود في الطبيعة دون تدخل للإنسان وبين ما يوجده الإنسان ويُتَفَق على استخدامه وينتقل بذلك من جيل لآخر، ومن هذه النقطة اختلف **سقراط** ومن بعده **أفلاطون** و**أرسطو** مع السفسطائيين لاعتقادهم بأن الفضائل مُطلقة وثابتة.

وأبرز الاختلافات للتفريق بين السفسطائيين والفلاسفة؛ هو أنهم كانوا يتقاضون أجرا مقابل التعليم وإبداء رأيهم في المسائل بينما رأى فلاسفة هذا العصر أن هذا مخالف لمفهوم الفيلسوف الحق؛ لأنه كما قال **سقراط أن كل ما يعرفه أنه لا يعرف وبالتالي فهو نفسه في حالة دائمة من اكتساب المعرفة فلا داعي من أخذ أجر طالما هو نفسه يتعلم** ولإيمان الفلاسفة بأن نقل العلوم ليست وسيلة للتكسب وإنما مهمة سامية يجب أن تخلو من المادية.

لذا تعرف **السفسطة** أو **السفسطائية** بأنها مذهب فكري فلسفي نشأ في اليونان بداية القرن الخامس ونهاية نهاية القرن السادس ق.م. في بلاد الإغريق، بعد انحسار حكم الأقلية **الأوليغارشية** وظهور السفسطائيون كممثلين للشعب وفكره وحرية منطقه ومذهبه العقلي. فكانوا من أوائل المذاهب الفكرية التي تعرضت للتنكيل والنفي والقتل لمجرد كونها تخدم مصلحة الضعفاء والمساكين، وقد تطورت المدرسة السفسطائية في القرن الخامس ق.م. حيث كان اسم **سوفيتيس** (مأخوذ من سفسطي أو سفسطائي) يعني وصف ومدح.

لقد أهمل **السفسطائيون** الرياضيات والطبيعيات في التعليم إلا قليلاً، وما لبثوا أن دخلوا على تعليم الفنون التي يجوز فيها الجدل ويقبل فيها الرأي الشخصي كالنحو والبلاغة والخطابة والتاريخ وكان هؤلاء يعلمون كل طالب معرفة ما يريده من الفنون ثم يزينون له تلك الفنون التي كان يميل إليها ويذمون أمامه الفنون التي لا يحبها أو التي لا يميل إليها. وكان **الجدل** هو أسلوب التعليم الذي خطه السفسطائيون إذ تكلموا في الخطابة والبلاغة وأثرها في الفرد والمجتمع وقد جادلوا في طبيعة الإنسان وفي اللغة أهي وضعية أم طبيعية، وجادلوا في الأخلاق أهي وراثة اجتماعية أم مولودة مع الإنسان. واعرفوا باتباع **القياس الإحراجي** الذي اشتهر به المعلم **بروتاغورس**.